

المزارات التي تقع خارج المدينة

قرية مسجد قباء ، قبلة الإسلام،

هي قرية ذات حدائق ، وبساتين غناء . بها مائتين منزل ، وتعتبر منتجع ومنتزه أهل المدينة . بها جامع « قباء » وقد بناه سيد البشر ، ﷺ كالدرة الفريدة ، يُصعد إليه بسبع درجات ، في فناءه النخلة التي غرسها المصطفى بيديه الطاهرتين ، وكذا شجرة « السدره » . وتحت هذه الشجرة بئر ماء ، ومن تيسر له صلاة ركعتين في المحراب النبوي . بهذا الجامع تُستجاب كل دعواته . وكان النبي الأمين ﷺ قد بقى ثلاثة أيام في هذا الموقع عند هجرته الأولى من مكة إلى المدينة . وقد أمر ﷺ ببناء مسجد في هذا الموضع ؛ كان صغيراً ، في بادئ الأمر ، ثم أعاد بناءه وتوسيعه بما تيسر له من غنائم في غزوات تبوك ، وأحد ، وحنين . طول هذا الجامع من الشرق إلى الغرب مائة وعشرون خطوة . أما عرضه فستون خطوة . وبداخله قباب مُقامة على أربعين عموداً ، وعلى المحراب نُقشت هذه الآية الكريمة : ﴿ قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ (*) وعلى المنبر ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ (**). كما كُتِبَ على المحراب . ﴿ لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى ﴾ (***) .

وفي الركن الشمالي من هذا الجامع يوجد محراب آخر ، كان الرسول الكريم يتعبد في موضعه ، ويتلو فيه آيات الكتاب ، ويسمونه « المحراب المكشَف » حيث كان بهذا المحراب ثقب ، صغير ، مفتوح تجاه مكة المكرمة ، وكان الرسول الكريم دائماً ما ينظر منه ناحية مكة ، شوقاً إلى موطنه الأصلي ، ومسقط رأسه الطاهرة .

ومسجد سيدنا علي يقع ناحية القبلة من هذا الجامع . ويتسع مسجد سيدنا علي هذا إلى حوالي خمسين رجلاً .

وما أن تتجه من هذا الموقع ناحية القبلة ، وتسير نحو خمسين خطوة ، حتى تجد نفسك أمام مسجد السيدة عائشة . وفي مواجهة الطريق تماماً يوجد « بئر أديش » ، وكان الرسول ﷺ ، قد بدأ في حفره بشخصه الكريم ، ثم اكتمل هذا البئر على يدي

(*) سورة البقرة آية ١٤٤ .

(**) سورة النحل آية ٩٠ .

(***) سورة التوبة آية ١٠٨ .

الصحابة الميامين . وَمَنْ يشرب من ماء هذا البئر مدة أربعين يوماً ، يُشفى بإذن الله من كل أسقامه وكنت أنا العبد الفقير قد أُصبت بمرض « الخفقان » من جراء شرب ماء بارد ، عندما كنت أتصعب عرقاً خلال فرارى وهروبي بعد هزيمة أردل "Erdel" (١) التي منينا بها أمام الكفار . والحمد لله ، والشكر له فبعد أن شربت من هذا الماء ، بضع أيام ، وبعد أن اغتسلت به عدة مرات ، شُفيتُ ، وعوفيت من هذا الداء بعون الله . وتُسقى الحدائق والبساتين المجاورة من مياه هذا البئر .

وتكثر في هذه المنطقة زراعة الليمون ، والتارنج ، ويُحكى أن سيدنا عثمان عندما كان خليفة ، حضر إلى هذا المكان ذات يوم ، وبينما كان يتوضئ من هذا البئر ، سقط من يده خاتم النبوة ، وبالرغم من كل أعمال البحث التي بذلها ، فلم يستطع أى شخص أن يجده . وتطير الناس من ذلك ، ورددوا أن عثمان بفقده خاتم النبوة ؛ قد فقد طالعه . وقد استشهد سيدنا عثمان بعد أربعين يوماً من فقده خاتم النبوة .

حديقة صوقوللى:

حديقة كروضة من رياض الجنة ، تستحق الزيارة ، والمشاهدة ، وَمَنْ يشاهدها بقصورها المزدانه ، ودواوينها المزركشة ، ورياحينها الفواحة ، ينشرح صدره ، وتُروى من مياه البئر السابق الإشارة إليه . وهى مليئة بالفل ، والنسرين ، والورود المختلفة الألوان ، وإن كان يغلب عليها اللون الأحمر . وبها قصور غاية فى الرقة ، والإحتشام . ثم على الزائر أن يتوجه بعد ذلك لمشاهدة النخلتين اللتين غرسهما النبی الأمين بيديه الكريمتين . ويجب على الزائر أن يُصلى ركعتين لله هناك . وهناك داخل حدائق المدينة ؛ بئر يسمى «بئر عروة بن الزبير» مَنْ يشرب منه

(١) هزيمة أردل : "Erdel"

تقع ضمن حدود رومانيا الحالية . وكان أول اتصال للعثمانيين بها فى زمن مراد الأول ، حينما أراد سنة ١٣٩١م + ٧٩٤هـ التوجه ضد ويدين ، ثم كانت الحملة الثانية سنة ١٤٢٦م = ٨٣٠هـ والحملة الثالثة سنة ١٤٣٢م = ٨٣٦هـ . استطاع ملك المجر هونياد أن يوقف الهجمات العثمانية ، إلا أن الجيش العثماني دخلها بقيادة خادم شهاب الدين باشا . وتوالت الحروب العثمانية عليها بعد عصر محمد الفاتح - ساد الهدوء والسلام المنطقة بعد سنة ١٦٦١م وارتبطت بسياسة صداقة مع الدولة العثمانية فى زمن عائلة كوبريلى التى تولت الصدارة بسياسة صداقة مع الدولة العثمانية فى زمن عائلة كوبريلى التى تولت الصدارة إلا أنها - وبالوسائل الغربية - بدأت فى قطع وانتهاك هذه السياسة ودخلت بالكامل تحت سيطرة النفوذ النمساوى بعد معاهدة كارلوفججه سنة ١٦٩٩م = ١١١١هـ . وتحولت اردل إلى ولاية نمساوية فيما بعد . (المترجم)

ينتفخ ، ثم بشر قزاعة ؛ وهو قريب من البئر السابق ، ويُقال أن سيدنا ابراهيم هو الذى حفره . وقد توضع النبی الامین من هذا البئر .

وداخل بستان نخل الحضرتين ، مياه عجيبة ، ولها خصائص عديدة ، وخاصة للسيدات ؛ فمثلا لو كانت ولادة إحدى السيدات متعسرة وشربت من هذا الماء ، فإن جزءاً من جسمها ترتخي عضلاته ، ويتسع ، وبعدها يرى المعصوم الدنيا . وكذلك من تشرب منه وقت حيضها ، فإن الحيض ينقطع ، وتصبح نظيفة طاهرة . وجميع نساء ، وفتيات المدينة ، يعرفن هذا الحوض ، ويفتسلن فيه . ولذا فإن الآهالى يطلقون على بستان الحضرتين هذا (بستان النساء) ولا يدخله غير النساء قط .

وجامع القبلتين ؛ على بعد ثلاثمائة خطوة ، من الموقع السابق ، وهو ثالث مسجد بناه الرسول الكريم ﷺ . وعلى مسافة مائة وخمسين خطوة منه يقع مسجد سلمان الفارسي ، ومسجد سيدنا عثمان على بُعد مائة خطوة فقط من مسجد سلمان ، وبالقرب منه يرى الزائر مسجد على (ﷺ جميعاً) .

زيارة سيدنا حمزة:

لما كان موقع سيدنا حمزة ، يقع خارج المدينة بمسافة بعيدة ، فقد توجهنا إليه فى جمع غفير ، حيث بلغ مائة وخمسين فارساً ، مسلحاً ، فمرقده ﷺ حيث كانت موقعة أحد . وتقع أرض المعركة فى الطرف الشمالى منه .

وما زال يهود خيبر يُفعم الحقد قلبهم ، فإذا أتيت لهم الفرصة ، لا يتورعون عن قتل أي مسلم . وفى مسيرتنا ، كنا نشاهد النخل وقد إنحنت جزوعه ، من ثقل ما يحمل من أسباط البلح - وعلى بعد ألف خطوة يجد الزائر : «مصطبة الرسول الكريم» ؛ حيث ارتدى عليه السلام درعه فى هذا الموقع ، وهو متجه إلى غزوة أحد . ويجب التمرجل عند هذا الموقع ، عند التوجه لزيارة سيدنا حمزة ، ويكون الأجر والثواب بذلك مُضاعف . وقمت أنا العبد الحقير بالترجل ، ووضعت طرف ثوبى فى حزام خصرى ، معطياً فرسى لغلامى ، وبدأت المسير تحت وهج الهجير ، مردداً سورة ﴿ أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ ۝۱ ﴾ (*) ؛ وبعد ساعة وصلنا إلى :

(*) سورة التكاثر آية ١ .

وادي خيمة الرسول :

وقد كان موقع جيش الرسول ﷺ في هذا الوادي ، وبه إيوان صغير ، وكانت خيمة إحرام حضرته عليه السلام فوق هذا الإيوان . وصلاة ركعتين هنا من السنن المحببة ؛ ففي هذا الموقع صف الرسول جنده ، صفوفاً مترابطة . وجعل سيدنا حمزة مقدمته وخالد بن الوليد يمينته . وقد نويت أنا العبدُ الضعيفُ مع كل الرجال «نية الغزو» واستلنا السيوف واضعين إياها في خصورنا .

وفي شمال الموقع ، وعلى بعد يبلغ ، حوالى خمسمائة خطوة ، يوجد «إيوان عاشوراء» ، وهو المكان الذي يقوم فيه الشاميون بإعداد طعام العاشوراء (*) وتوزيعه على الحجاج . وإلى جواره يوجد إيوان أمين الصرة . وإيوان الملاء ، وإيوان شيخ الحرم . وكان صفوة الخلق ﷺ يُشرف هذا المكان كل عام لزيارة سيدنا حمزة ؑ ، وإعداد العاشوراء .

آداب الزيارة :

أما مزار سيدنا حمزة ؛ فعلى بُعد مسيرة ساعة واحدة من المدينة ، وهو على شكل قبة كأنها مقبرة ، مدخلها من باب يُفتح على القبلة ، يطل على فناء ، والفناء مفروش بحجارة بيضاء . وتحت هذه القبلة ، وناحية الكعبة في الفناء ، يرقد ؑ ، داخل صندوق رباعي الاضلاع ، والصندوق داخل مقصورة رباعية أيضاً . ومن كان يحمل سيفاً ، فعليه أن يضعه داخل صندوق سيدنا حمزة ، وبعد فترة يخرج به ، وسط تكبيرات حارسي المقبرة ، ويتمنطقه ، وسط تهليلاتهم ، فيكسب ثواب الغزوة .

وبجوار رأس سيدنا حمزة ، دُفن الشريف صالح وهو من ذريته ، فسيدنا حمزة من الهاشميين ؛ هو ابن عبد الملك ، وعم الرسول . أسلم هو ، وسيدنا عمر معاً ، قتل العديد من الكفار في غزوة أحد ، واستشهد ؑ ، في نفس المعركة وتمدق جسده الطاهر .

(*) طعام عاشوراء : طعام يُعد بمناسبة العاشر من محرم من كل عام هجري ، ويتكون من اثنا عشر حبة من الحبوب ، يسوّى حتى ان ينضج ، ويوزع على الأهل ، والأقارب ، والجيران ، والمساكين ؛
انظر : للمترجم القيم الأسرية بين الأصالة والمعاصرة .. دار الآفاق العربية - القاهرة ١٩٩٩م) المترجم .

وفى فناء الضريح ؛ يوجد بئر ماء . ولحكمة إلهية ؛ فإن تراب هذه المنطقة المحيطة بالضريح أبيض ، مع أن تراب هذه المنطقة بأسرها أحمر ، وسبب هذه الحمرة ، هو الدماء الذكية ، التى سالت بسبب سقوط سن النبى هنا . وإذا ما مسح الزائر أسنانه بهذا التراب ، فإنه يأمن ألم الأسنان ، ونزلات البرد . وقد جُرب ذلك ، فالله على كل شئ قدير .

وعلى بعد خمسمائة خطوة شمال هذه الربوة يقع جبل أحد ، وهو جبل أمّلس مرتفع ، جبّاله ، وصخوره حمراء ، به مغارات كبيرة ، وفى نفس المنطقة ؛ وادى يطلقون عليه « وادى مقتل حمزة » ، وهو مكان مهيب . وقد إختبئ الكفار فى هذه المغارات ، وانقضوا على سيدنا حمزة الذى استشهد ، وهو يقاتلهم . وقد عدنا مسرعين من هذه المنطقة ، بعد أن صلينا ركعتين لله . واتجهنا جنوباً ، وسرنا نحو مائتى خطوة حتى وصلنا إلى :

مزار ميدان الشهداء:

فقد استشهد فيه أكثر من ألف من الصحابة ، ولم تُقام لهم أى قباب ، ولكن لبعض من مشاهيرهم شواهد قبور . ولكن عقب أمطار غزيرة ، حدث سيل عارم ، فجرف التراب ، والحصى الموجودة فوق أجساد ما بين سبعين أو ثمانين شهيداً ، لدرجة أن أجسادهم الطاهرة ظهرت للعيان ، وما أن سمع أهل المدينة بذلك ، حتى توافدوا ، فرأوا ما قررت به عيونهم ، وإطمئنت قلوبهم ، فقد رأوا الأجساد طرية ، ندية ، وكان استشهادهم قد حدث تواً . فالبعض دماءهم الذكية ، وكأنها ما زالت تسيل ، والبعض ؛ وكأنه مضطجع ، والبعض مقطوع الرأس ، والبعض بدون أذرع أو سيقان ، والبعض ، وكأنه فى سنة من النوم . وهكذا شاهد الناس جميعاً بعيونهم عظمة الشهادة فى سبيل الله ، والدين . وهفت نفوسهم إلى الشهادة فى سبيل رفعة الدين . وقام المدنيون بتورية هذه الأجساد الطاهرة من جديد ، وأمر شيخ الحرم ، بإقامة جدار طوله أربعمائة خطوة ، ناحية الوادى حتى يمنع وصول السيول مرة أخرى .

وشرط الزيارة هنا ؛ أن تكون وقت السحر ، وأن يكون الزائر عاري الرأس ، حافي

القدمين ، ولا يمكن أن تكون الزيارة ظهراً ، حيث أن الأرض ، وما عليها ، من رمال ، وتراب تكون كالنيران الملتهبة . وإذا لبس الزائر في قدميه خفاً ، أو ما شابه ذلك ، أعتبر ذلك مخللاً بحرمة المكان . فكل هذه الصحراء مرقدة للشهداء . والجميع ؛ صغيراً كان ، أو كبيراً يتحرج من الزيارة بدون وضوء .

وخلال شهرى محرم وصفر من كل عام يُقرأ المولد الشريف ^(١) هنا ، وعند مقبرة سيدنا حمزة . يكتظ المكان بالمؤمنين ، وتجيئ نفوس الحاضرين في كل عام ، تحت تأثير الإنشاد الدينى ، والدعاء ، والإبتهالات التى تتردد أصداءها فى المكان كله ، لدرجة أن البعض تخور قواه ، ويلقى ربه من أثر الوجد الذى تفعم به النفوس ، ويعم المكان ، فيدفن حيث يكون فى صحبة الشهداء .

وهنا تختم زيارة أماكن الزيارة التى تقع خارج المدينة

(١) المولد عرف الأدب التركى نوعاً من الشعر الدينى ، عُرف «بالمولد» ، وهى مدائح نبوية . وأهم هذه الأعمال ؛ هو «وسيلة النجاة» لـ «سليمان جليبي» [٨٢٥ هـ / ١٤٢٢ م] ، الذى نجح فى التعبير عن عواطفه الدينية ، بطريقة صادقة ، اقتنع بها الطبقات المثقفة جنباً إلى جنب مع الطبقات الشعبية .

وقد استخدم المولد للدلالة على تلك القصائد التى تُنشد بمناسبة المولد النبوى الشريف ، وما يصاحب الذكرى من إبتهالات دينية . وقد اختلفت الآراء الدينية حول الإحتفال بالمولد ، فمن يقول إنها بدعة ، ومن قائل أن الإنشاد وقراءة القصائد الدينية ليس بدعة ، وإنما البدعة هو ما يصاحب ذلك من طبل ، وطرق للدفوف وما شابه ذلك ، ومن قائل إنها بدعة حسنة ، وأن العرب هم أول من احتفلوا بمولد النبى ﷺ بزيارة المنزل الذى ولد فيه فى يوم ميلاده .

واقام الفاطميون الإحتفالات الباهرة فى مصر ، ثم انتشرت حتى شملت العالم الإسلامى . وبدأ الإحتفال بالمولد النبوى ، فى الدولة العثمانية ، يأخذ شكلاً رسمياً ، منذ عهد مراد الثالث (٩٨٢ - ١٠٠٣ هـ / ١٥٧٤ - ١٥٩٥ م) . وأنه قد أخذ مكاناً فى تشريفات السلطان منذ سنة ٩٩٦ هـ ، وما زال يُنشد إلى يومنا هذا ، فى تركيا فى مناسبات كثيرة خاصة مولد سليمان جليبي . انظر : [د. نجلابك اولجاي ، إسلامى تورك آديبالتى ، استانبول سنة ١٩٦٦ س ١٤٠ - ١٥٣] .

ومولد سليمان جليبي هذا ، كتبه مؤلفه وهو فى الستين من عمره ، حين كان يعمل إماماً لمسجد بورصه ، فى عهد بايزيد الثانى (٨٥١ - ٩١٨ هـ / ١٤٤٦ - ١٥١٣ م) رغبة منه فى إظهار فضائل الرسول محمد ، ومكانته بين الرسل .

وعدد النسخ الموجودة فى مكتبات إستانبول ، وحدها ، إحدى وخمسين نسخة ، لموالد مختلفة . وأرجح الآراء حول عدد أبيات هذه القصيدة هى أنها ٣١٧ بيتاً .

وأهم المباحث التى تتناولها القصيدة ، توحيد البارى ، والتماس الدعاء ، وبيان خلق العالم ، بيان فطرة العالم ، وروح محمد ، وبيان ظهور النبى محمد ، وبيان معجزاته ﷺ ومعراج النبى ، وهجرة النبى من مكة إلى المدينة ، بيان ما يجب أن تكون عليه أمة محمد ، ثم بيان بالنصح والإرشاد . انظر : [د. الصمصامى أحمد المرسى ود. ادريس نصر، دراسات فى الشعر التركى ، القاهرة سنة ١٩٧٨ م مولد سليمان جليبي ص ٣٥ - ٥٣] .

أوصاف زيارة الوداع،

بعد أن تتم جميع الزيارات و يشترط على الزائر أن يغتسل ، ويلبس ملابس طاهرة نظيفة ، ويدخل بأدب جم من باب «القلعة» وما أن يصل الزائر ، إلى المسجد النبوي الشريف ، فعليه أن يدخل من باب جبريل الواقع ناحية قدمي النبي الكريم ، وعليه أن يقرأ الفاتحة ، والدعاء التالي :

«السلام عليك يا رسول الله .» . [وبعد أن ينتهي من دعائه ، وتضرعاته ، عليه أن يتقهقر إلى الوراء مردداً .. «الوداع يا رسول الله .. الوداع.»] .. والسلام .

والحمد لله ، فقد أتممتنا زيارة الوداع على هذا النحو . وكتبت أنا العبد الفقير إلى ربه من الآيات والأقوال ماسمحت به قدرتنا .

والمعروف أن المدينة المنورة تقع على خط عرض ٢٠ و ٢٧ دقيقة . وخط طول ١٣ ساعة ، وخمس دقائق .

* * *